الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الكلية :الآداب واللغات

القسم: اللغة والآداب العربي

عنوان الليسانس: الأدب العربي **الشعبة: دراسات أدبية**

التخصص: أدب عربي

السنة الثالثة

السداسي :الخامس

المادة : جماليات السرد العربي القديم

محاضرات في مقياس:
جماليات السرد العربي القديم

الأستاذة: دربالي وهيبة.

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

السنة الجامعية-2021-2022

عنوان المحاضرة : جماليات السرد في النص الشعري القديم

يعد الشعر ديوان العرب، وحامل مآثرهم وأخبارهم، وفي هذا المجال وجد النقاد أن بعض القصائد الشعرية العربية ذات طابع قصصي، حملت ضمنها أقاصيص سرد الشعراء من خلالها حكاياتهم.

1-تعريف القصة الشعرية:

إن القصة الشعرية هي القصة التي تُكتب شعرًا أوهي الشعر الذي يتضمن حكاية،سواء أكان ذلك في القصيدة كاملة أم في جزء منها ،وقد اشتهرت في الأدب العربي قصص شعرية منها حكايات تمت صياغتها في شعر امرئ القيس والحطيئة وعمر بن أبي ربيعة».

أبسط تعريف للقصة الشعرية أنها حكاية كُتبت شعرًا، وعُرف الشعر القصصي عند شعراء الصعاليك ، والحطيئة وعمر بن أبي ربيعة ..الخ ،وتكون القصة في كامل قصائدهم أو في مقطوعات منها .

2- بدايات القصة الشعرية في الأدب العربي القديم :

لم ينشأ الشعر القصصي كغرض مستقل، وإنما دخل ضمن أغراض شعرية عديدة ،ومع تطور الشعر العربي أصبح «الشعر القصصي من أغراض الشعر العربي التي لم يقف عندها نقاد العرب، لقلتها بالنسبة إلى الأغراض الأخرى،وأغلب هذا النوع يسير على منهج "كليلة ودمنة" ،ويتخذ الحيوانات مسرحًا له،وقد يتخذ الإنسان له ميدانًا ، وأطول ماعُرف من هذا الشعر" ديوان الصّادح والباغم" لابن الهبارية».

كانت البداية الفعلية للشعر القصصي في موضوع القصص على لسان الحيوان، وتنافس الأدباء والشعراء في نظم قصص "كليلة ودمنة"عند أبان اللاحقي وابن الهبارية وغيرهما،وقام ابن الهبارية بمحاكاة أسلوب ابن المقفع في قصصه على لسان الحيوان في ديوانه الصّادح والباغم"،ومن المعروف أن قصائد المعلقات لاتخضع لوحدة الموضوع،ولكننا وجدنا في معلقة امرئ القيس سرد قصة غزلية حيث«سرد الشاعر قصته مع زوجته "أم جُندبٍ" في قالب شعري غزلي،وأخذ الغزل عنده الطابع القصصي في رواية مغامراته الغرامية، وهو يُبالغ في الوصف شأن الفن الواقعي الذي ظهرت إرهاصاته في الشعر الجاهلي،وحصل الجزم بين النقاد على أن امرأ القيس ليس هو رائد القصة في الشعر العربي ولكن الصعاليك، ولو ممثلين في قيس بن منقذ هم رواد القصة بمعناها الفني، وإن ورد في شعر امرئ القيس قصة ذات بداية ونهاية ، فهو أولًا وأخيرًا لم يقصد أن يروى لك قصة ، وإنما هو يحكي لك شيئًا ممَّا وقع في أسلوب قصصي ، وقد تطوَّر هذا الفن في الشعر العربي حتى أصبح قصصًا مُكتملًا في العصور، التي تلت عصر امرئ القيس».

ظهر إشكال الريادة في القصة الشعرية بين النقاد،ولكن الاتفاق بينهم على أن الشعراء الصعاليك مالوا لسرد الأقاصيص في شعرهم، والجدير بالذكر«أن القصة لها مفهوم فني لانستطيع أن نطلقه على موضوع،إلا إذا استوفى الخطوط الأساسية فيه على الأقل،ونجد أن التصوير وإن كان يسلك مراحل من القصة، ويقرب من نطاقها،إلا أننا نقلل من شأن القصة ونضعف مفهومها إذا أطلقنا على كل محاولة أو سميَّنا كل مرحلة من مراحلها قصة».

عندما نتحدث عن القصة الشعرية فإننا نقصد بها تلك الحكايات القصيرة التي قد لاتستوفي كل شروط القصة الفنية في النثر،وظهرت ملامح للقصة في الشعر الجاهلي خصوصًا عند الشعراء الصعاليك ، فأخذ الشعر عندهم الطابع القصصي في سرد حكاياتهم في قالب شعري «وقد مرت بنا صور كثيرة لهذا الشعر تُسجل ألوان الحياة الجاهلية مظاهرها ، وماسبح في سمائها من أفلاك،وما اطرد في صحرائها من حيوان، وما اتصف به أهلها من خلال،ونحو ذلك،ولكنا هاهنا ببعض الأمثلة كصورة لتصوير الشعر الجاهلي للحياة الجاهلية».

حملت دواوين الشعراء قصص صوّرت بيئة الشعراء، فقد عكس الشاعر الجاهلي الحياة العربية في الصحراء، وعبَّر عن عادات وتقاليد القبائل العربية.

3- أنواع القصص الشعري:

ظهرت أنواع كثيرة للقصص الشعري في الأدب العربي القديم ، ويمكن اختزالها في التوجهات الشعرية التالية :

أ- قصص البطولات والمفاخرات :

إن المتطلع لتاريخ الشعر العربي يجده حافل بالمفاخر حول الأنساب والأجداد، وأيام العرب « وقصص الحروب والبطولة في الشعر العربي قد تأخذ طابعًا فرديًا ذاتيًا حين يتصدى الشاعر لتأكيد بطولته وشجاعته ومروءته في إحدى المناسبات، التي تتعلق بالحرب كإنقاذ أسرى معركة حربية كما فعل عمرو بن معد في قوله:

ألم ترني إذْ ضمني البلد القفر سمعتُ نداء يصدع القلب ياعمرو
أغثنا فأنا عصبة مذحجية نناط على وفر وليس لنا وفر
تكلفنا ياعمرو ماليس عندنا هوزان فانظر ما الذي صنع الدهر
واقحمت مهري حين صادفت غرة من القوم حتى قلت قد عقر المهر
فأنجيت أسرى مذحج من هوزان ولم ينجهم إلا السكينة والصبر

والقصة واضحة وهي أقرب إلى الحكاية البسيطة ،التي تعكس واقعًا حصل للشاعر ».

افتخر الشاعر عمرو بن معد ببطولاته وقوته في حماية الأسرى في المعركة ،وهو موقف افتخر به العرب، والقصة رغم إيجازها إلا أنَّها صورت حال الأسرى وطلبهم المساعدة من الشاعر .

ولقد تعددت أغراض القصة الشعرية الجاهلية، ومنها قصص اتخذت موضوع الفروسية والبطولات «وقصص البطولة الفردية متنوعة الأساليب متعددة الصور والمضامين هدفها العام الفخر بالنفس، وتأكيد الشجاعة الذاتية للشاعر، وقد تكون أقرب إلى الخيال في أحداثها، وبهذا تكتسب طابع القصة أكثر من الحكاية ».

من طبيعة الشاعر العربي الفخر بشجاعته وفروسيته، ولذلك نجد شعرًا موضوعه ذات الشاعر، وربما يميل الشاعر للمبالغة في الكثير من الأحيان حول الفخر بنفسه أو قبيلته « ومن دائرة البطولة يكشف لنا الحدث القصصي في القصيدة عن جانب من هيمنته على ذاكرة الشاعر القديم سواء في ذلك ماطرحه من أحداث جزئية ممزقة متناثرة قد لاتشدها وحدة واضحة ،أو مابدا منها مترابطًا عضويًا ،أو يصور أنماط المغامرات في إطار سرعة الحركة أو البطء، لتصل الأحداث مجموعة الأحداث بالبطل إلى عقدة تحتاج إلى أن تُحل،ويكون الحل كامنًا في انفراج أزمة البطل الشاعرأو البطل موضوع القصيدة ،وإلى جانب البطل وحركة الحدث يظل الحوار حارسًا أمينًا على ظهور الملامح القصصية».

يعد الحوار العمود الفقري للسرد القصصي ،ولقد وُفق بعض الشعراء في توظيفهم له، وزيادة على ذلك توفر بنية سردية في القصة الشعرية من بداية وعقدة وحل ، وتمحور الأحداث حول البطل ، وينبغي على الشاعر اعتماد الحوار والوصف .

ب- قصص الحيوان الشعرية:

يعد ابن المقفع أول أديب أدخل قصص الحيوان في أدبنا العربي، وقصص الحيوان الشعرية «تتناول الحيوان في الصحراء وتدخل في أعماق مشاعره حيث الصراع الرهيب مع الموت والخوف والقلق».

استأنس الشاعر العربي الحيوانات في البيئة الصحروية ،وصوَّر حياته في البرية، وتحدث عن تلك الحيوانات المفترسة في شعره،وظهر هذا التوجه الشعري عند الشعراء الصعاليك، ومن قصص الحيوان روى النابغة الذبياني قصة ثور وحشي فقال:

كأنّما الرحل منها فَوق ذي جدد ذب الزياد إلى الاشباح نظار

مطرّد أفردت عنه حلائله من وحش وجرة أو من وحش تعشار

وقصة الثور هذه جاءت استطرادية تشبيهية، فهو ينتقل من الناقة إلى الثور الوحشي فيشبهها به"».

تتجسد قصص الحيوان الشعرية في طريقة استطراد، فبعدما أنهى النابغة الذبياني حديثه عن الناقة تفرغ للحديث عن الثور الوحشي، والملاحظ هو تزايد القصص الشعري عن الحيوانات مع محاكاة الشعراء لأسلوب ابن المقفع في كتابة كليلة ودمنة.

ومن شعر القصصي على لسان الحيوانات ماورد عند أبي ذؤيب في قوله :

فرمى فأنفذ من نجود عائط سهمًا فخرَّ وريشهُ مُتصمعُ

فرمى فألحق صاعديًا مُطحرًا بالكشح فاشتملت عليه الأضلع

فأبدهن حتوفهن فهارب بذمائه أوبارك متجعجعُ

يعثرنَ في علقِ النَّجيع كأنما كُسَيت بُرودَ بني يزيدَ الأذرع ».

هذا عرض سريع من الشاعر لقصة هذا الحمار وأتنه ،الذي ساقه أبو ذؤيب مثلًا ،والشاعر وقف عند جزئيات هذه الأفكار وحللها تحليلًا أجرى فيه روحه وحسه، وأبان عن جوانب القصة إبانة وضيئة».

كانت الحيوانات الأليفة أهم موضوع في القصص الشعري العربي ، ولقد قال ابن الهبارية في حكم وأمثال متفرقة في قصة الطاووس مع البوم :

قال سمعتُ أن طاوسًا سعى في طلب القوت المشوم فرعى

حبًا لصياد على شباكه فعاد من ذلك في اشراكه

قد صار مأسورًا يعاني الشبكة في حيرة يرى الردى والهلكة».

صاغ ابن الهبارية مجموعة من الحكم على لسان الحيوانات، وذكر مصير الطاووس الذي لقي مصيره في الأسر ، ومغزى تلك الحكايات على لسان الحيوان توجيه النصح للمتلقين عن طريق حكاية رمزية.

ج–القصص الاجتماعية:

مماهو معلوم أن الشعر العربي ديوان العرب ،وشكل صورة عاكسة عن الحياة الاجتماعية، والقصة الاجتماعية «هي قصص خاصة بالشاعر وقبيلته ،وتمتاز بأنها أحداث حقيقية مسرحها واقع الحياة ،وأبطالها الشاعر وقومه، ومن القصص الاجتماعية أيضًا قصص الصعاليك، وهي تمثل طبقة أو شريحة من مجتمع ماقبل الإسلام».

احتل القصص الاجتماعي مساحة كبيرة في شعرنا العربي القديم،وهذا مرده إلى أن الشاعر يصور همومه في شعره ،ونجده ملتزم بالحديث عن أحوال قبيلته في أفراحهم وأقراحهم ،والقصص الاجتماعي في الشعر العربي أنواع كثيرة ، ومنه القصص الديني «والقصص الدينية جميعها لاتخرج عند أغلب الشعراء عن هذا الأسلوب في العرض، واعتماد الموعظة والعبرة أو التشبيه ،وضرب المثل هدفًا بروايتها في القصيدة».

إن القصص الديني غايته توجيه المجتمع وإصلاحه عن طريق الوعظ والإرشاد ،وسبيل الشعر للتأثير في النفوس ،وفي هذا المجال قال الشاعر عمير بن شييم القطامي التغلبي :

وانذركم مصائر قوم نوح وكانت أمّة فيها انتشار

وكان يسبِّح الرّحمن شكرًا ولله المحامد والوقار

فلما أن أراد الله أمرًا مضى والمشركون لهم جؤار

ذكر الشاعر قصة نوح والطوفان ،الذي أهلك قومه ، وسفينة نوح التي حملت ابتاعه وغرق الباقون ».

سرد الشاعر القطامي التغلبي قصة دينية تحدث فيها عن نبي الله نوح عليه السلام مع قومه من الكفار ،وغرقهم في الطوفان وفيها عبرة وموعظة لقومه بأنه من يتبع سبيل الله ينجو من الهلاك ،كنجاة أتباع نوح عليه السلام.

4- نماذج من القصص الشعري العربي القديم :

ظهرت بدايات القصة الشعرية في العصر الجاهلي، ونجد إرهاصاتها عند بعض شعراء المعلقات والصعاليك .

أ-القصة الشعرية عند شعراء المعلقات :

اشتهرت قصائد المعلقات بطولها وجودتها ، وتضمنت بعض القصص القصيرة عن الشاعر أو قبيلته «ويشيع بين الباحثين أن أول من استعمل أسلوب القصة امرؤ القيس في لاميته، التي صوَّر فيها حاله مع عشيقته التي يقول من قصته معها : تقول وقد مال الغبيط بنا معًا عقرت بعيري يامرأ القيس فانزل».

هنا سرد الشاعر قصته مع إحدى النساء،ومعروف عنه حبه للغزل ووصف النساء،وقال الشاعر أيضًا في قصته مع زوجته:

خليليَّ مُرَّا بي على أم جُندبٍ لنقضي لُبانات الفُؤادِ المُعذَّب

فإنَّكما إن تنظراني ساعةً من الدَّهر تنفعني لدى أم جُندب

أَلَمْ ترَياني كلّما جئت طارقًا وجَدْتُ بها طيبًا وإن لم تُطيّب».

نلاحظ أن الشاعر الجاهلي يسرد قصته في الوقت الذي يتذكر أحبته،أو عندما يخوض معركة،كما هو الحال عند عنترة بن شداد، وتوفرت القصة الشعرية في شعر عنترة بن شداد العبسي،فروى أقاصيص فيها بطولاته،ومن أهم الخصائص الفنية لشعر عنترة بن شداد نذكر بروز«روح الحكاية والسرد ، والملاحظة الأولى على قصص عنترة أن موضوعها واحد لايتغير ،يتكرر في كل قصصه ،فالموضوع إما هجوم في معركة أو إغاثة لمستغيث ورد لعدوان».

شكل الفخر بالذات الموضوع الأهم والأكثر حضورًا في قصص عنترة بن شداد ،فهو الشاعر والفارس ،والبطل المغوار والمنقذ في وقت الصعاب ،قال عنترة بن شداد في إغارته على بني كندة وخثعم (من الوفر):

طرقتُ ديار كندةَ وهي تدوي دويَّ الرّعد من ركضِ الجِياد

وبدَّدت الفوارس في رُباها بطعن مثل أفواه المزاد

وخثعمُ قد صبحناها صباحًا كورًا قبل مانادى المُنادي

غدوْ ا لّما راوْا من حدّ سيفي نذير الموْت في الأرواح حاد

وعُدنا النهاب وبالسرايا وبالأسرى تُكبَّلُ بالصفاد».

تلك الأبيات هي جزء من قصة،التي روى فيها عنترة بن شداد إغارته على قبيلتي بني كندة وخثعم،وكانت نهايتها الغلبة للشاعر بتحقيق النصر والضفر بالغنائم ،والغالب على قصص عنترة أنها « تعتمد على سرد قسم من الحادثة، وتشويق السامع لمعرفة النهاية ثم عرض لهذه النهاية ففي قصيدته المعلقة يتحدث عن البطل المدجج ،فيترك الشوق في النفس لتعلم ماذا حل بهذا الرجل، وهذا مايكاد يشبه عقدة القصة الفنية ،ولكنه بسيط دون تعقيد ولافنية مركزة، ويحل عنترة هذه العقد دائمًا بشكل متشابه، ولكن الحل فيه تفصيل .

نرى أن قصص عنترة في كثرتها تبدو قصيرة الموضوع،لاتتجاوز بضعة أبيات،فهو يعرض حوادث القصة بشكل سريع دون أن يتوسع في التصوير توسع القصاص المحدثين».

استخدم عنترة بعض تقنيات السرد القصصي، فيروي بطولاته مع عقدة تفتقر للتقنية الفنية تنتهي بتفوقه على الأعداء« وتكاد هذه الصفة عند عنترة تكون عامة في كل قصصه،وطريقة عنترة في القصص تعتمد على الوصف والسرد ولاتعتني بالحوار».

إذا كان عنترة قد أهمل الحوار،فإنه في المقابل نجده قد اهتم بالوصف والسرد ،وكان بارعًا في أنواع الوصف وظهر في شعره « القصة الوصفة التي تعتمد على تقديم الصورة الفنية دون كبير عناية بالتمهيد والعقدة والحل، وقد طالعنا الأدب العربي والغربي على السواء بنماذج شتى من هذا النوع من القصص، فإذا قرأنا معًا بعضًا من شعر عنترة وجدناه غنيًا بهذا اللون، والعجيب أننا نجد نفس هذا القصص عند المتنبي مع الفارق الزمني الضخم، الذي يفصل بين الشاعرين ».

ربما لانجد قصة بالمفهوم الفني في شعر عنترة، ولكننا نجد الصورة الفنية الناضجة في معلقته كما لو كان من شعراء العصر العباسي كالمتنبي وغيره، وفي شعر عنترة نجده دائم التفكير في حبيبته عبلة، وهو يتخيل أنه يحاورها ويخبرها، ومما ورد في معلقة عنترة قوله : «يُخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم

ولقد ذكرتكِ والرماحُ نواهلُ مني وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي

فوددتُ تقبيل السيُّوف لأنها لمعت كبارق ثغركِ المتبسم ».

سرد عنترة حادثة المعركة التي خاضها لابنة عمه عبلة، وافتخر بعفافه في المعركة ، وهو في تلك المعركة حامية الوطيس نجده يتذكر حبه لعبلة، وهي المرأة الوحيدة التي تعلق بها قلبه، فنجده يخاطبها في شعره كما لو كانت أمامه ،ومن ذلك قال عنترة في إغارته على بني عامر:«ألا ياعبلُ قد زاد التصابي ولج اليومَ قومكِ في عذابي

سلي ياعبلُ عنّا يوم زرنا قبائل عامر وبني كلاب

وكم من فارس خليتُ ملقى خضيب الراحتين لاخضاب

يحرك رجله رُعبًا وفيه سنان الرّمح يلمع كالشهاب

قتلنا منهم مائتين حرًّا وألفًا في الشعاب وفي الهضاب».

هنا نجد عنترة سرد لعبلة حادثة إغارته على قبلتي عامر وبني كلاب،وأنه انتصر وكبد الأعداء خسائر جسيمة، وبرزت مظاهر القصة الشعرية عند عنترة بن شداد «وعلى مستوى القص العنتري من أشباه هذا النمط تظل العقدة رهنًا بإحساس الشاعر بنفسه ،وتضخُم ذاته واستمرار انشغاله بتجربته واسترخائه النفسي أو –على حد تعبير عنترة – بما يجده من شفاء النفس في زحام صور القتال ،وهي النهاية التي يرسمها دومًا لقصة بطولته ».

نلاحظ أن شعر عنترة ذاتي عبر فيه عن بطولاته، وافتخر بنفسه، ومكارم أخلاقه على نحو قصصي،وارتبطت العقدة عنده بتضخم الأنا،ولايجد سبيلًا للراحة إلا في المعارك التي يثبت بها وجوده وقوته،ودائمًا نجد عنترة يصور نفسه بالبطل الشجاع الذي لايهاب الموت، وتنتهي قصصه بنصره على أعدائه«وربما تحولت الصياغة القصصية إلى ضرب من التداخل ليزداد الموقف تعقيدًا دون قصد إلى حله، وذلك عند الشاعر الغزل حين يبدو يائسًا من غزله ، فيتخذ من الدعابة مجالًا للخروج من أزمته،وهو قول الأعشى في معلقته فيقول:

علقتها عرضًا وعلقتُ رجلًا غيري وعلق أخرى غيرها الرَّجلُ

وعلقته فتاة مايحاولها من أهلها ميّت بهذي بِها وهلُ

وعلقتني أخيرَي ماتلائمني فاجتمع الحُب حُب كله نبِلُ

فكلنَا مغرَم بهذي بصحبه ناءٍ ودانٍ ومخبول ومُختبل ».

نجد الاعشى يفرع عقدته ،وكأنه يريد عزاءً في مشكلته ،فيشير إلى أطراف المشكلة ، فيشير إلى أطراف المشكلة إذ يعدد

لها نظائر تمثل أكثر من عقدة ،وإن بدت كلها متشابهة...فهي تأتي من منطلق واحد تعكسه قصة الفتاة،التي أحبها الأعشى في وقت لم تشتغل فيه به».

هنا نجد تأزم حال الأعشى بإعراض الفتاة عنه،وهو موقف لانجده عند الشعراء المجانين مثلًا،وفي تلك الأبيات وصف الأعشى قصة تجربته الغرامية التي كللت بالفشل، ووصف الأعشى حقيقة مشكلته النفسية، وهو يبحث عن من يسانده في محنته « وقد نخلص إلى القول من تنوع صور العقدة وصور حلها إلى أنها تظل ماثلة في ذلك الإطار النفسي لدى الشاعر حين تبدو الأحداث أمامه متداخلة متشابكة».

نلاحظ أن شعراء المعلقات انشغلوا بذواتهم في شعرهم،وصوروا معاناتهم النفسية، واتسمت قصصهم بالجزئية، وبعدم توفر كل تقنيات السرد القصصي عندهم .

ب–السرد القصصي في شعر الصعاليك :

مماهو متعارف عليه عند العرب أن الشاعر إذا تحدث عن تجربته الغرامية نظم قصصًا شعريًا ، ووجدنا هذا بوضوح عند الشعراء الصعاليك « ونضرب مثالًا للمستوى الفني، الذي وصلت إليه القصة في شعر الصعاليك بقصة قيس بن منفذ المعروف"بابن الحدادية"مع ابنة عمه نعم بنت ذؤيب سجلها في شعره، ولكننا لكي نعلم فضله على امرئ القيس في هذا المجال، وهذا يدل على أن اتجاه صعاليك الجاهلية للقصة كان اتجاهًا أصيلًا بل ومقصودًا أننا نجدهم لم يكتفوا بهذا الوصف، الذي يمكن أن يقال عنه أنه تصوير لمشهد ،يمكن أن نجده في شعر غيرهم كوصف المعارك والرحلات ومتابعة أحداثها ونحو ذلك،بل اتجهوا إلى التخيل في القصة بذكر أحداث أو قصص متخيلية كالصورة الخيالية التي توهمها تأبط شرًا في محادثته مع الغول،وقد كان تصويره لهذا في شعره مؤيدًا لنزعة القصص،حيث كان التصوير والوصف والمحاورة في مستوى يقربها من نطاق القصة».

وقصيدة تأبط شرًا التي وصف فيها لقاءه للغول في شعره ، التي مطلعها :

تقولُ سُليمى لجاراتها أرى ثابتًا "يفنَا" حوقلًا

وله قصيدة أخرى مطلعها: ألا مَنْ مُبلغٌ فتيان فَهمٍ بِما لاقيْتُ عندَ رَحَى بِطانٍ ».

كان الشعر أحد أسلحة الشعراء الصعاليك في التعبير عن مواقفهم، وتوجيه التحذير لأعدائهم، واستعراض مظاهر قوتهم ولطالما تغنى الشعراء الصعاليك بالبطولة والشجاعة في أشعارهم « وصوروا ذلك في قصص طريفة، وقد امتاز شعر الصعاليك بروح القصة، والاتجاه إليها اتجاهًا واضحًا ومقصودًا في كثير من شعرهم ،وليس امتيازهم في حوادث فردية أو فلتات شاذة ، وغير هذا ماتنقله القصص، التي عرفت عن الجاهليين من صور ،ففيها قصص بطولة رائعة، وحكايات حب إنسانية وقصص وفاء وغدر».

سرد الشنفرة في قصيدته "لامية العرب" قصته التالية :

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ
فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ
وفي الأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

.....

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وَأَقْطُعَهُ اللَّاتي بِهَا يَتَنَبَّلُ
دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي سُعَارٌ وإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

فأيَّمْتُ نِسْوَانَاً وأيْتَمْتُ إلْدَةً وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ أَلْيَلُ
وأصْبَحَ عَنّي بالغُمَيْصَاءِ جَالساً فَرِيقَانِ: مَسْؤُولٌ وَآخَرُ يَسْأَلُ
فَقَالُوا: لَقَدْ هَرَّتْ بِلَيْلٍ كِلَابُنَا فَقُلْنَا: أَذِئْبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ
فَلَمْ يَكُ إلاَّ نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَّمَتْ فَقُلْنَا: قَطَاةٌ رِيعَ أَمْ رِيعَ أَجْدَلُ ».

سرد الشنفرة قصة إغارته على قبيلة الغُمَيْصَاء ، وروى كيف انتصر عليها ،وظهر الحوار القصصي بين الشاعر وسكان القبيلة ،وزمان القصة هو الليل ومكانها هو قبيلة الغُمَيْصَاء .

تعد قصيدة "لامية العرب " للشنفرة من"أشهر القصائد العربية،التي صوَّرت حياة العرب في الجاهلية، وظهر الطابع القصصي في شعر الصعاليك رغم قصر مقطوعاتهم الشعرية،ومن ذلك نجد النزوع القصصي في شعر عروة بن الورد

وكان الطابع القصصي بارزًا في شعر عروة بن الورد، ومن ذلك قوله:

تقول سُليمى: لو أقمتَ لسرّنا ولم تدرِ أني للمُقامِ أُطوَّف
لعل الذِي خوفتنا من أمامِنا يُصادُفه ،في أهلِه المتخلفُ
إذا قلتُ قد جاء الغنى ،حال دونه أبو صبيةٍ،يشكو المفاقِرِ أعجف».

ظهرت معالم القصة واضحة في فنون الشعر ومنها على وجه الخصوص: الغزل والفخر، فالشاعر غالبًا مايسرد قصته الغرامية في شعره،أو عندما يفتخر بنفسه وبطولاته،وسلك هذا التوجه شعراء في عصور مختلفة،وأما الفخر ففيه تعداد الصفات الكريمة للشاعر أوالقبيلة ورواية قصص البطولة والفروسية وانتصارات الجيوش«وهنا يظل القول حول العقدة والحل مرهونًا بمواقف أولئك الشعراء،وطبيعة الحياة وقصص القوم وأيامهم ،وتعدد فكر الأبطال حول ظاهرة التوحد حتى مع الذئب لدى الصعلوك من خلال العلاقات الحوارية والتداخلية في الصور والأحداث» .

نشأت علاقة بين الشاعر الصعلوك والحيوانات المفترسة في البرية ، وهو قاسم مشترك بين جميع الشعراء الصعاليك وظهر الاختلاف بينهم في نسج العقدة والحل ،لاختلاف طبائع الشعراء ونمط حياتهم .

ج–القصة الشعرية في شعر عمر بن أبي ربيعة:

زاد الاهتمام بالقصص الشعري في العصر الأموي، ورجع ذلك إلى وظيفة الشعر العربي الجمالية التي تهدف في التأثير على نفوس المتلقين، وانتشر الغزل في العصر الأموي ووجدنا شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة «ولعل قصيدته "أمن آل نُعم" من أعظم القصائد التي ثبتت دعائم القصة في الشعر العربي والقصيدة عند عمر بن أبي ربيعة، قصة كاملة، وإن شئت أن تتناول خيوطها ، وتنسج لاستطاعت أن تخرج برواية ، وألفاظها سهلة ميسورة قريبة المعاني لاتكاد تحتاج إلى أي تعليق،ومع ذلك فماذا علينا ننظر في أبياتها معًا،والقصيدة طويلة ،فقد كان القديم يعنى بالتفاصيل والوصف الدقيق ،وحين تطورت نظرية الأدب الواقعي ،وعبَّرت قصيدة "أمن آل نعم" عن قصة شعرية ، وجاء فيها قوله :

لعَمْرُكَ أنَّني من دينِ نعْم لَكالدَّاعِي إلى غيْرِ المُجي
وَمَانُعْمٌ ولو عُلِّقْتَ نُعْمًا بِجَازِيهِ النَّوالِ وَلاَ مثُيبِ
وماتَجْزِى بقَرضِ الوُدِّ نُعْمُ وَلاَ تَعِدْ النَّوالَ إلى قرِيبِ

عبَّر الشاعر عن حبه للمرأة "نعم" وعشقه لها،ولكنها غابت وصدت عنه ،ومهما تحمل الصعاب في هواها لم تثبه وتنله مطلوبه، وهذا بمثابة عتاب للمحبوبة ».

ظهر صدق الشاعر في التعبير عن مشاعره تجاه المرأة المحبوبة وعتابه لها ، واتصف غزل عمر بن أبي ربيعة بالواقعية

واستطاع تصوير نفسية المرأة وطبيعة حياتها « ويعد القصص والحوار الصحيح خاصيتان بارزتان في شعر عمر بن أبي ربيعة،وخصوصًا ذلك الحوار الذي يدور في العادة على ألسنة النساء، وكل قصيدة لعمر موضوع تام في نفسه،وحسبما يرى طه حسين أنَّ العصر الأموي لم يعرف كله شاعرًا وصف المرأة جملة وتفصيلًا بمثل ماوصفها به عمر بن أبي ربيعة جودة وكثرة ودقة بنوع خاص».

إنَّ الناظر في شعر عمر بن أبي ربيعة يجد عنده مجموعة من القصص القصيرة الممتعة، ويرى بعض الباحثين الذين تحدثوا عن شعر عمر بن أبي ربيعة «أنه خير من استعمل القصة في شعره، وذلك في رائيته،التي تحدث فيها عن قصته مع العشيقة،وإن كان ابن أبي ربيعة أقرب إلى القصة من مشهد امرئ القيس وسواء أكانا مشهدين أم قصتين ،فإن ماينقصها من القصة أكثر من هذا ،وهو النواحي الفنية المعروفة في القصة، وأما قصة قيس بن منقذ فقد راعى فيها كل الخطوط الأساسية للقصة الفنية من نواحيها النفسية ،ومن جوانب الوصف ومن الحوار، ومن جو القصة وروحها ،وقد سجل قصته هذه في قصيدة طويلة».

ظهرت معالم القصة واضحة عند عمر بن أبي ربيعة لكونه يتحدث عن موضوع واحد في شعره ،وهو الغزل بالنساء وقصائده طويلة استوعبت حكاياته معهن «وقصص عمر بن أبي ربيعة والعرجي ،تعتمد تلك الأسس القصصية،ولكنها لاتجعلها كلها دائمًا في قصيدة واحدة ،ويمكننا القول أنها مغامرات متعة حسية فقط تفتقد العواطف الجياشة الصادقة والأشواق الساذجة المخلصة، التي كنا نحسها في قصائد شعراء البادية .

ويستعمل عمر بن أبي ربيعة في قصصه الغرامية أساليب متنوعة للوصول إلى المرأة ،وتبلغيها حبه وأشواقه ولهفته للقائها».

أجاد عمر بن أبي ربيعة توظيف تقنيات السرد القصصي ،ومنها الحوار والوصف الدقيق وكانت غايته من وراء شعره القصصي الغزلي هو إرضاء نوع خاص من المتلقين وهو النساء.

د- القصة الشعرية في شعر المتنبي:

ازدهر الشعر في العصر العباسي، وفيه اكتملت معالم القصة الشعرية ،وقد ظهرت معالم القصة واضحة في شعر المتنبي ، ومثال ذلك قول المتنبي في إحدى قصائده :

وقَفْتَ ومَا في الموْتِ شكٌّ لِواقِفٍ كأنَّك في جفْنِ الرَّدَى وَهو نائِم

تمُرُّ بكَ الأبطالُ كلْمَى هَزيمَةً ووجْهُكَ وَضَّاحٌ وَثَغْرُكَ بَاسِ».

وهنا صوّر المتنبي بطولات سيف الدولة مع جيشه ضد الروم ، وشجاعته عند مقابلة العدو،وكان المتني يجيد المدح ، وقال المتنبي أيْضًا في الغزل :

إنَّ الَّتي سَفكَتْ دَمِي بجفُونِهَا لَمْ تَدْرِ أنَّ دمِي الَّذي تَتَقَلَّدُ

قَالَتْ وَقَدْ رَأَتِ اصفرَارِي مَنْ بِهِ وتنهَّدَت فأجبتها المُتنهِّد

وصف الشاعر حاله مع المرأة التي عصفت به وأتت عليه بعيونها،وذكر أن دمه في عنقها، وأنها باءت بإثم قتله، ولما رأت اصفرار وجهه تساءلت عن السبب».

برع المتنبي في التصوير، وهذا اللون من القصص قريب دائمًا إلى نفسية القارئ ،فهو يشعره أن الكاتب يصدقه القول وظهر عند المتنبي نمط آخر من ألوان القصص في التجربة الشخصية، ونسوق مثال قول الشاعر الحارث بن ظالم قال قصيدة جاء فيها :

بلغتني مقالةُ المرء عمرو بلغتني وكان ذاك بديًا

فخرجنا لموعدٍ فالتقينا فوجدناه ذا سلاح كَميًّا

غير مانائم يروع باليـ ـل مُعِدًّا بكفه مشرفيًا

فرجعنا بالصفح عنه وكان الـ ـمنُّ منَا عليه بعدُ تليًّا

نجد قصة قصيرة ، وهو مايرصده من خلال توالي حركة الأحداث الموجزة منذ "بلغتني ثم فخرجنا ثم فرجعنا،وكان الشاعر يُصور بداية الحدث منذ سماعه ماأشاعه عنه حاسده،قبل أن يكون له خصمًا».

تحدث الشاعر عن موقف شخصي تعرض له ،وتمثل في حسد أحد الأشخاص منه ،وعداءه الشديد له ،وحاول الشاعر إنكار الإشاعات التي روجها خصمه عنه ،وفي بحثنا عن تقنيات السرد القصصي في الشعر نجد بأنه « قد يبدو الأمر شديد التعقيد خاصة إذا ماقصدنا إلى تتبع العناصر القصصية ،يمثل هذا الرصد الحرفي لكل مقوماتها وأسس بنائها الفني ،ولكن تلمس بعض العناصر يظل شاهدًا على إلحاح الشاعر على الانطلاق منها ،وتسجيلها في شعره بما في لذلك من دلالات نفسية على عمق روح القص بمستوياتها المختلفة ».

تضمن الشعر العربي قصص جرى التعبير عنها في سياقات شعرية مختلفة ،ولاحظنا تنوع القصص واختلاف حجمها من الطول إلى الإيجاز حسب النفس القصصي لدى الشاعر السارد، وعمق تجربته الفنية .

5-خصائص القصص الشعري العربي القديم :

مماهو معلوم أن هناك اختلاف بين القصة النثرية والقصة الشعرية ،فكلاهما قصة ،ولكن الجنس الأدبي يختلف بين الشعر والنثر ،وفيمايلي سنذكربعض خصائص القصة الشعرية .

أ-خصائص القصة الشعرية الجاهلية:

تعد القصة الشعرية الجاهلية أقدم نوع قصصي شعري ،ورغم بداياتها البسيطة، إلا أنها تمتعت بمجموعة من الخصائص الفنية نذكرها فيما يلي :

1. اعتمدت القصة الشعرية الجاهلية على الوصف والسرد القصصي .
2. اعتمدت القصة الشعرية الجاهلية على التشبيه والاستعارة ،وذلك للمبالغة في عرض الأحداث، وتهويلها فتحقق الأهداف منها.
3. اعتمدت القصة الشعرية الجاهلية على وضوح الحدث والفكرة مع توافر البيئة الزمانية والمكانية لها.
4. القصة الشعرية الجاهلية عفوية وبسيطة وواقعية

امتازت القصة الشعرية الجاهلية بإيجازها واعتمادها على الوصف عن طريق الصور البلاغية ،وكانت الأحداث فيها بسيطة لاترقى إلى مستوى القصة الفنية ،وذلك لكونها واقعية مقتبسة من واقع الشاعر .

ب- الفرق بين القصتين الشعرية والنثرية :

برزت اختلافات بين بين القصتين الشعرية والنثرية ،ونوجز هذه الاختلافات فيمايلي:

1. القصة الشعرية يحكي فيها الشاعر أحداث وقعت له
2. تختلف القصة الشعرية عن القصة النثرية بصفات معينة يمكننا توضيحها بشكل موجز للخروج بها عن قواعد وضوابط القصص النثرية
3. تأكيد أثر الوزن والقافية في تحديد أسلوب القصة الشعرية ومضمونها ورسم أحداثها وصولًا .

4. اعتماد الشعر في عرض الأحداث وسردها وتقيّدها بالوزن والقافية في أسلوبها يفترض فيها التركيز والاختصار والبعد عن التفصيل والتحليل .
5. بعد القصة الشعرية عن التفصيلات المطولة التي نراها في القصة النثرية
6. امتازت القصة الشعرية في عصرماقبل الإسلام أيضًا بأنها استطرادية عفوية
7. القصة الشعرية عفوية وغير مقصودة أحيانًا » .

اتضح لنا أن الوصف والسرد والحدث والزمانية هي عناصر تشترك فيها القصة الشعرية مع القصة النثرية ،ولكن الاختلاف بينهما في عناصر مثل الوزن والقافية والصور البلاغية التي نجدها في القصة الشعرية ،ولانجدها في القصة النثرية

لقد ظهر لنا أن الشعر جنس واسع التعبير ،لايقتصر فقط على الأغراض الشعرية المعروفة بل يتعداه إلى القصص والحكايات ، ولاحظنا تطور الأسلوب القصصي في الشعر العربي القديم خصوصًا في العصرين الأموي والعباسي.

وصفوة القول نرى بأن السرد في الشعر هو جزء من التعبير عن النفس الإنسانية ولطالما كان الشعر وعاء لتعبير الشاعر عن خواطره وهمومه،ولقد خلد الشعر الكثير من مواقف الحب والبطولة في قصص وحكايات، التي وردت في صياغة سردية شعرية.

قائمة المصادر والمراجع :

1-الدواوين الشعرية :

1. ابن الهبارية :ديوان الصادح والباغم أرجيز قصصية على أسلوب كليلة ودمنة شرح:عزت العطار
2. امرؤ القيس:الديوان ،تح: أبو الفضل إبراهيم ،
3. الشنفرة عمرو بن مالك : الديوان، تح:إميل بديع يعقوب،
4. عنترة بن شداد :شرح ديوان عنترة بن شداد :تصحيح: أمين سعيد
5. عروة بن الورد أمير الصعاليك: الديوان ،تح: أسماء أبو بكر محمد ،
6. عمر بن أبي ربيعة: الديوان، شرح محمد العناني ،
7. المتنبي : شرح ديوان وتحقيقه: عبد الرحمن البرقوقي،

2-قائمة المعاجم العربية الحديثة:

1. وحيد كبابة :معجم مصطلحات النقد العربي القديم
2. يوسف حطيني : مصطلحات السرد في النقد الأدبي"دليل القارئ"،

3- قائمة الكتب العربية الحديثة:

1. بشرى محمد علي الخطيب : القصة الحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي،
2. ثروت أباضة: القصة في الشعر العربي
3. طه حسين :حديث الأربعاء
4. عبد الحليم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه،
5. محمد سعيد مولوي:ديوان عنترة تحقيق ودراسة ،
6. محمد عبد المنعم خفاجي:الشعر الجاهلي ،
7. مي يوسف خليف: الشعر الجاهلي بين النص والقص